مطبوعات المجمع العلمي العراقي

المثاني ومحمد الهاشمي

الدكتور يوسف عز الدين

مستل من المجلد العاشر من مجلة المجمع العلمي العراقي

مطبعة المجمع العلمي العراقي
١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

PC1=0
'Izz al-Din

مطبوعات المجمع العلمي العراقي

المثاني ومحمد الهاشمي

الدكتور يوسف عز الدين

مستل من المجلد العاشر من مجلة المجمع العلمي العراقي

مطبعة المجمع العلمي العراقي
١٣٨٣ هـ — ١٩٦٣ م

(RECAP)
PJ7832
.A734Z49

32101 014294423

المثاني — محمد الهاشمي (١)

طبع بمساعدة مالية من المجمع العلمي العراقي

مطبعة الايمان بغداد ٤١٨ ص

الأستاذ محمد الهاشمي شاعر من طلائع النهضة الأدبية والفكرية في العراق فقد أخرج ديوانه عبرات الغريب منذ أكثر من أربعين سنة ولكنه انصرف عن المشاركة في الحياة العامة

---

(١) هذه معلومات عامة عن حياة الشاعر وبعض آرائه ارتضاها هو لأنه أدلى بها نفسه نذكرها لمن سيدرس حياة الشاعر دراسة مستفيضة إذ قد لا تتاح لأحد مثل هذه المعلومات خارج العراق :

ولد في بغداد سنة ١٨٩٨ في الكرخ ونشأ في اسرة تثقفت بالثقافة المتعارفة في ذلك الوقت وهي الثقافة الدينية والادبية وتعلم الكتابة والقراءة والقرآن على يد والده ثم (وهو حدث) لقنه اخوه الاكبر (عبد المجيد) النحو وشيئاً من اللغة فتلقفه بسرعة وحمله على ان يحفظ مقصورة ابن دريد وكان يناقش الكبار ويغلطهم في النحو حتى عجبوا منه لصغره في السن يومذاك .

دخل المدارس الابتدائية زمن الاتراك (ابتدائي ورشدي) وكان جل اساتذته عرباً ومنهم حمدي الباجه‌جي وعبد الله سلام ونعمان الاعظمي .

وفي مبتدأ حياته الدراسية درس كتاب (مبادىء اللغة) للاسكافي . وفي صغره طلب منه الاستاذ (علي الألوسي) ان يجمع كتاباً سماه ديوان (اراجيز العرب) جمعه في اربع مجلدات وكتب الاستاذ علي الألوسي في أول جزء منه تقريظاً .

وبعدها دخل المدرسة السلطانية فلم يرقه التدريس باللغة التركية ، وكان يتدخل بالسياسة وهو من دعاة القومية وضد حكم الاتحاديين وسيق الى المحكمة من اجل قصيدة ضد روسيا نشرت في بغداد في جريدة الرياض لسليمان الدخيل وفيها كلمة ضد القيصر .

يا قيصر الروس شل الله عرشك هل علمت منقلب الظلام إذ ظلموا ؟

وكذلك سيق الى المحكمة من اجل قصيدة نشرت في بغداد ومنها هذا البيت :

تركوك يا لغة النبي وآثروا في المسلمين سياسة التتريك

وحكم عليه بالحبس ثلاثة اشهر وقبل تنفيذ الحكم لم يجد له مدرسة فسافر الى مصر وهو في فاقة شديدة إذ أنه ذهب على حسابه الخاص وكان أول شخص عمل هذا العمل .

وفي مصر دخل مدرسة — دار الدعوة — التي كان الانكليز ضدها وكان ذلك في ايام عباس حلمي الخديوي ، فاضطر ان ان يدخل الازهر واخذ شهادة معادلة للشهادة الثانوية قبل فيها في الجامعة المصرية =

وركن الى القضاء ولو قيّض له أن يستمر في الأدب لواكبت شهرته شهرة الرصافي والزهاوي بل أن جزالة شعره ورواء نسجه خير من شعر الزهاوي وروائه .

= والتي كان الانكليز لا يرغبون في الابقاء عليها وانتهت الحركة الاولى ولم يتمكن من الاستمرار في الدراسة ورجع الى العراق ودخل مدرسة الحقوق فيها سنة ١٩٢٠ .

انهى دراسة الحقوق واشتغل بالمحاماة قليلا وبسبب الاحوال الخاصة عين حاكما . وكان قبل ذلك موظفاً في وزارة الدفاع ـ وهي اول وظيفة شغلها ـ ثم كاتباً في بلاط الملك ثم استاذاً في دار المعلمين في الكرخ ثم في الثانوية وبقي في المعارف الى نهاية سنة ١٩٢٧ واحيل على التقاعد عندما كان رئيس مجلس التمييز الشرعي .

وكان متطرفا في كل شيء ومتأثراً باخيه عبد المجيد الذي كان له المام باللغة والدين ، فنشأ صلباً متطرفاً في الدين وفي العقيدة وفي كل شيء حتى في السياسة .

وكان ممن اتصل بهم سياسياً يوسف السويدي ومزاحم الباجهجي وحمدي الاعظمي ، وكان من ضمن الذين يوزعون المناشير والتي كانت تصل بدون علم الحكومة التركيه . وتصل من الجمعية العربية في باريس ومصر لتنبه الحس العربي ضد العثمانيين .

في ميدان الفكر

كان يشتغل وهوصغير في تحرير جريدة الرياض ومجلة لغة العرب وجريدة النهضة والمصباح لصاحبها عبدالحسين الأزري وله كتابات اخرى نشرت في مصر كان ينشرها في المقتطف .

وعند رجوعه من مصر الى العراق اصدر مجلة اليقين لمدة ثلاث سنوات وقد اهتم بها كثيراً حتى انه كان ينفق عليها راتبه وشاطر في تحرير جريدة الرافدين لسامي خنده ورشيد الهاشمي ، والاستقلال لعبدالغفور البدري.

وكان يشترك في حفلات سياسية اقصي من منصبه بسببها ، قال من قصيدة القاها في حفل وطني في (رويال سينما) سنة ١٩٢٤ :

كذبتم ما لكم في الأمر شيء فقولوا إننا شعب عبيد
نهضت فقيل أي فتى فلما خبرت الأمر اعجبني القعود

وقد نشر قسم منها في الحديقة لمحب الدين الخطيب وله مؤلفات منها المطبوعة ومنها المخطوطة ومن هذه المؤلفات :

١ — القضاء بين يديك : وهو مطبوع وفيه كلام على القضاء وقد اعجب به المختصون بالقضاء حتى قال عنه احد المحامين انه معجزة وانه كلية حقوق طبع سنة ١٩٥٧ .

٢ـ حديث عن احسن الحديث: وهو مباحث عن القرآن الكريم ومقارنة احكامه باحكام التشريعات الحديثة وفيه يثبت ان كل القوانين الحديثة الصحيحه منقولة عن شريعه القرآن ويورد فيه مقارنات ويذكر ان =

وقد أوذي الشاعر في أول حياته وشبابه فقد سجن عند ما هاجم الاتحاديين مدافعاً

= تبديل الاسماء والعناوين لا يبدل الاحكام الاصلية من النظام العام .

٣ — اسورة من نحاس : وهي مقطعات ذات بيتين وقد استعار لها هذا الاسم لانه يعتقد ان الأسورة لا تلبس مفردة إلا اثنتين . ثم غير اسمه وطبعه باسم (المثاني) .

٤ — وله ديوان شعر مطبوع تحت اسم (عبرات الغريب) ويحتوي على شعر شبابه . وهذا الديوان صغير طبع سنة ١٩١٩ م . وقد طبعته حكومة الشام العربية انذاك دعاية لها .

٥ — سمير اميس : أسطورة شعرية طبعت عام ١٩٠٩ .

وله غير هذه المؤلفات قصائد منها (اعترافات مقامر) وهي من القصص العراقية طلب منه الملك غازي تأليفها وأذيعت من اذاعته الخاصة .

وقصيدة (اليعقوبية) في المولد النبوي .

منها : يا منشيء الدستور كل حكومة في كل دستور سواه بلاء

وملحمة (بلقيس) وهي قصة شعرية .

وهناك قصائد أخرى مشهورة منها قصيدته الكافية التي اسلفنا بيتاً منها وله قصيدة يعتز بها كثيراً وهي قصيدة بعنوان (الى الدكتور ولسن في قبره) والتي مطلعها :

ماذا لقيت ؟ أخيراً انت طالبه ام هل ازاح الردى عن نفسك الظلما

وقد نشرها في مجلة اليقين . وقصيدة اخرى يعتز بها ايضاً وهي عروة (الصعلوك) . وهي تبحث في الاشتراكية على الصعيد الاسلامي .

وقد بدأ بنظم الشعر مبكراً ، في التاسعة او العاشرة ونشرت اول قصيدة له في الدعوة الى اتحاد المسلمين وقد احدثت اهتماماً كثيراً ونشرت في جريدة (عالم الاسلام) في تركيا سنة ١٩١٢ م وتناقلتها اكثر الجرائد في بيروت وتركيا .

وكتب في القصة العراقية (شعراً) مثل (عاشقة ابنها) و (فتاة مخدوعة) و (شرطي اثيم) و (في الوفاء وفي الغدر) و (قصة الامام علي) وقصص تاريخية اخرى وكتب سلسلة بعنوان (بطولات مؤنثة) .

وكذلك ترجم رباعيات الخيام وهي معدة للنشر . ونشر جزءاً منها ، كما نشر كثيراً من شعر شبابه بتوقيعات مستعارة في مجلته (اليقين) ولعل كل توقيع مستعار في مجلة اليقين هو له .

واجاب عن سؤال بصدد رأيه في الشعر الحديث فقال :

ان الشعر الحديث ضعيف من حيث الاسلوب والتراكيب والتفكير ومن جهة اخرى فالروح العلمية وعمق الشعور كل ذلك مفقود فيه ، كما ان الروح الموضوعية فيه سخيفة . ومحاولة التجدد والعجز عنها كانت مصدر هذه الامور .

اما الشعراء الذين يفضلهم فهم : شوقي واحمد محرم ومن العراقيين عبد الحسين الازري — اذ كان =

عن القومية العربية واللغة العربية بقوله :

تركوك يالغة النبي وآثروا في المسلمين سياسة التتريك

فكان رد الفعل في نفسه عميقاً . ترك العراق على أثرها الى مصر فدرس في الأزهر

= معجباً به كثيراً ، والرصافي . ومن الشعراء القدامى زهير بن ابي سلمى وجرير والاخطل والمعري والابيوردي .

أما جوابه عن رأيه في المرأة فقد قال متحمساً :

ان المستعمرين الهونا بالمقارنة بين الرجل والمرأة وهما سواء اوجدا لخدمة غرض معين والمسألة لا تحتاج الى مناقشة اذ ما هي إلا تخدير ولهو لأن حقوق المرأة اشياء غريزية لا تحتاج الى مناقشة او دعاية ، والتطور الذي يطرأ على جميع مناحي الحياة يشملها .

الاحداث التي مرت به

مرت على الشاعر احداث أثرت في حياته وتألم منها كثيراً إذ أنه عندما تكلم عليها كان متأثراً جداً ولا يريد أن يتذكر الماضي . فبعد ذهابه الى مصر سنة ١٩١٣م للدراسة وبعد بقائه ستسنوات عانى ما عانى من الفاقة والوحدة فاضطر الى استنساخ الكتب وبيعها ، وكان جدياً في الدراسة وكانت اساليب التدريس في ذلك الوقت ليست كما عليه الآن معقدة كان يدرس هذا الشاعر فيها (١٨) ساعة خلال اليوم في مصر . وفي بغداد عندما دخل الحقوق كان يدرس عشرين ساعة خلال اليوم اضافة الى شعوره بالغربة والوحدة القاسية .

والشيء الآخر هو أنه بعد ذهابه الى مصر شعر أنه على خطأ في اتجاهاته مع المشتغلين بالسياسة العربية لانه علم انها من دسائس الاجانب ولم يكن يعرف دخائل قومه وكانت مقاومة الاتراك وبتلك الصورة خطأ عظيماً لأن للأتراك شعوراً مشتركاً لم يجده عند الانكليز وقد كان هذا الشعور قد هيمن على عزيز علي المصري ورفيق العظم وأكثر المشتغلين بالقضايا العربية بعد أن تلب لهم الانكليز ظهر المجن .

ومن الحوادث المهمة اعتقاده هو وجماعته أن عائلة العهد البائد لها نوايا وطنية فلما اطلعوا على حقيقة نياتهم ترك السياسة مع من كان معه .

وحوادث اخرى لها الاثر في نفسه منها وفاة ابيه وهو صغير ثم وفاة والدته ثم حادثة وفاة اخيه رشيد . ووفاة زوجته صغيرة فاضطر للزواج مرة ثانية وشقي في تربية اطفاله منها ويقول ان اطفاله الموه كثيراً وليس عندهم وفاء او اعتراف بالجميل .

ففي سنة ١٩٤٠ كان يتقاضى مرتباً قدره (٤٠) ديناراً وهو رب لاسرة عدد افرادها (١٦) فرداً وكان الغلاء في ذلك الوقت قد سيطر على الحياة الاقتصادية فلم تكن موارده تكفيهم فتحمل كثيراً من المشقة في اعالتهم .

وبعد كل هذا وبعد أن احيل على التقاعد انصرف الى تأليف الكتب وهو الآن مشغول في جمع ديوانه وتنقيحه .

الشريف ردحاً من الزمن ثم عاد الى العراق وأكمل دراسته في الحقوق وعين حاكماً فصرفه القضاء عن نشر أدبه ...

وقد ظننت أن الشاعر الفاضل قد ترك الشعر إلى غير رجعة غير أن اصدار (المثاني) أثبت أنه كان ينظم الشعر طول هذه المدة ولا ينشره .

والمثاني مقطعات ذات بيتين وقد كان اسمه قبل طبعه (أسورة من نحاس) لأن الشاعر يعتقد أن المرأة تلبس كل سوارين مرة واحدة . وهو ديوان ضخم ضمنه تجارب حياته الطويلة في السياسة والاجتماع والدين والأخلاق والتوجيه والغزل وغير ذلك مما مرّ به في الحياة الاجتماعية في المحيط العربي والانساني ويحتاج الديوان إلى دراسة طويلة لاظهار مكنونات هذا الشعر الغزير العميق وسأكتفي بباب واحد أمر به سريعاً أعرضه على القارئ الكريم هو باب السياسة والثورات والعمل والعمال لصلته الوثقى بالحياة التي يحياها هذا الجيل العربي المتوثب الثائر .

عالج الهاشمي المشكلات التي عاشها المجتمع من ظلم وتسلط الحاكمين ، بالسخرية من الملوك ورجال الدولة ، فهو يقول مثلاً عن الملوك الذين يرضون بالمظاهر الكاذبة دون أن تكون لهم سلطة حقيقة :

تاج وعرش وعلم وفيك سيف وقلم
وصوت غوث كاذب لا صدق ان خطب ألم

ويقول ان مظهرهم مظهر الوقار والحكم والواقع أن أبناء الشعب هم الملوك وهم الرعايا :

وملوك كرعايا ورعايا كملوك
إن رأوا عندك شيئاً من ثراء سألوك

ثم يعطينا صورة واضحة للدولة التي كانت بحكم هؤلاء الملوك ووزرائهم . فهم لصوص

يسرقون أموال الشعب ظلماً وعدواناً ثم يلوم الشعب الذي دعاهم لتسلم مقاليد الأمور في بلاده فيقول :

ومملكة ومن نصبوا عليها ... لصوص يسرقون بلا عقاب
ومن خطأ الرعية ان دعتهم ... ملوكاً قابضين على الرقاب

ويقول في وزراء الدولة :

تؤمل عدلاً منك في ظل دولة ... عليها لصوص هم لها وزراء
مشينا إلى أقدامنا فاذا بنا ... نُردُّ إلى خلف ونحن وراء

وأطرف صورة لنظام هذا الحكم يرسمه لها الشاعر الهاشمي بقوله :

حارسها لص وشرطيها ... لص ، فما نومك بين اللصوص ؟
مكان من يسرق في قصره ... مكان من يسرق بين الخصوص [1]

ويسخر من استقلال الحكومات التي جاء بها المحتل وأخذ يحكم البلاد باسمها :

أمة مضمحلة وبلاد ... قيل فيها حكومة مستقلة
كثرة الهاتفين بالكذب أخفت ... قلة الصدق إن في الصدق قلة

لأنها حكومات قامت على الرشا والمنح ، منهم لصوص بأثواب ولاة يتحكمون في مصير البلاد :

قدمت قبل قضايا ... ك الهدايا والصلات
لولاة ليس يدرى ... أَلصوص أم ولاة ؟

ويسخر من دعاة العدل والحق في دولة متفسخة محكومة من الأجنبي الذي لا يعرف غير المراوغة والغش والخداع والرشوة فقال :

---

(١) الخصوص جمع خص وهو كوخ من القصب .

ما العدل ؟ ما الحق ؟! ومن أهله ؟ الحكم للراشي وللمرتشي
لا تبلغ الرتبة في دولة ما لم تنافق أو ترغ أو تشِ

ثم يثور على أولئك الذين يمدون أيديهم للمستعبد الظالم لأنهم يشجعونه على الاستبداد ويدفعونه نحو الظلم ، لأن النفوس الأبية الكريمة تأبى أن تمد يدها للظالمين والمستبدين والمجتمع المتفسخ فيه كثير من هؤلاء وهم الذين يدفعون الظالم والمستبد نحو الطغيان .

أرأيت أقذر من يد ممدودة للمستبد على الخيانة تبسط ؟
طال الحديث ولست تعلم منهم من كان أظلمهم ومن هو أقسط ؟

وكان الشاعر حرباً على الأجانب والمستعمرين الذين احتلوا العراق وعاثوا في أرضه فساداً ولم يدعوه يتمتع من خيراته فقد سرقوا نفطه وأمواله وتركوه دون أن يمدوا له يد المساعدة مع أن هذه البلاد بخير وأموالها وفيرة .. وقد استغل العراق وأصبح سوقاً لتصريف البضائع الأجنبية ، التي جرّت الى استعمار البلاد والسيطرة عليها . وحث الشعب على الصناعة فهي مهما كانت تافهة البداية فستكون بعد فترة من الزمن ركيزة من ركائز الاقتصاد :

غُزيت بلادك بالصناعة غزوة كانت تجر وراءها استعمارا
في كل ما صنعت يمينك ثروة فاصنع ـ ولا تملل ـ ولو مسمارا

لأن طريق الاستعمار الاقتصادي يؤدي الى سيطرة سياسية فعلية لا يوقفها غير البدء بالعمل الصناعي :

اصنع لنفسك آلة تنجيك من خطر الأجانب
من هنا وهنا عليـ ـك تحاوشوا من كل جانب

وما استعمار الشرق وانحطاطه إلا لأنه متأخر صناعياً وعلمياً .

قد حُرمنا ما صَنعنا إبرة وانحطاط الشرق من جهل الصناعة

شـلل الأيدي على أعضادهـا أنه الداء وفي العـلم مناعـة

وقال :

لك من سلاحك عدة ومن الصناعة الف عدة
جهل الصناعـة شـدة جرّت وراءك كل شـدة

وقال :

ولا مثل علم بالصناعـة قوة فناهيك من فن عظيم ومن علم
ألم تجدوا أن الصناعة ثروة تعدونها للشعب في الحرب والسلم

والنفط ثروة العراق التي يتمتع بها الأجنبي وهو من موارد ثروة العراق التي لا يستفيد منه أبناء الشعب غير الأذى واحتمال الضير .

يا سيدي ليس لك النفـ ـط ولا لي سـيدي
أشعلته لا بيـدي فاحترقت منـه يدي

وقال للمفاوض أو للحاكم الذي كان يحكم البلاد :

عوّض عن النفط أو ساوم به كذبا النفط والدين والدنيا بدينـار
ما كان ساومك النمرود في حطب ولم يسـاومك ابراهيم في نار

وتحدث عما جرّ النفط على أهل عبادان من ويلات الاستعمار ثم قارنه بحالة الشعب في العراق الذي فرضت عليه المعاهدة ليحافظ الأجنبي على النفط :

وأحرق أهل عبادان نفط ومحترق به أهـل العـراق
معاهـدة الأجانب في لقـاء كتبت بهـا الهوان بلا فراق

ويلخص ما في العراق من كنوز تغني وتسعد الشعب كله لو استغلت لمصلحة أبنائه ففيه النفط والتمر وخصب الأرض ووفرة المياه ومع ذلك فالعراق فقير متأخر جائع عار .

النفط ثروتنا ، والتمر ميرتنـــا والأرض عدتنا ، والمـاء وادينا
الحمـد لله هـذا كلـــه ، وخلت من الحساب ، سوى الأصفار أيدينا

وبالرغم من أن فترة الشاعر فترة لم تكن تعنى بالعامل قوة من القوى الشعبية فقد اهتم بالعامل بصورة عامة والتفت اليه التفاتة جميلة فقد طالب بأن يرفق بالعامل لأنه أجير وليس عبداً وينبغي احترامه ورعايته فقال :

أجيرك ليس عبـدك فاحترمـــه ولا تنظـــر الى وسـخ اللبين
فان يدنس له ثوب فدعـــه ليرحض ثوبه عـــرق الجبين

ويرسم صورة العامل أنهـا صورة العامل الدائب النشيط الحاذق المـاهر المنصرف الى عمله كل الانصراف فقال :

ما كل ما يتسمى عامـــلاً بطل لا يحسن الصنع إلا عامل حرك
يمشي هنا وهنا في حـذق صنعته لا الصدر يلهيه عن جد ولا الورك

ويخاطب اولئك المترفين المتبطلين بأن يد العامل هي أشرف من يد أولئك الذين لا يعملون لأنه قوام الصناعة وقوام الاقتصاد في البلاد وشتان بين انسان منتج عامل وبين متبطل يعيش طفيلياً على كد العامل ومجالدته فقال :

وأشرف من أيديكم يد عامل بها ورم من طرقها ومجول[1]
صناعتنـــا فيها جهاز وقوة نصول على باغ بهـــا ونجول

وعدّ العمال المخلصين الحاذقين أنبياء العمل ان لم يكونوا أنبياء .

وبالرغم من الجهد المبذول فقد تسربت اليه كثير من الأغلاط المطبعيـة التي يعرفها القارىء المتبين لأن الأديب الحساس لا تفوته مثل هذه الأغلاط . وفي الفصل الذي عرضته

(١) مجول أثر العمل في اليد وهو أن يكون ماء بين الجلد واللحم .

عليكم تكرار في بعض المقطعات مثل (الخامسة والسادسة والسابعة والثامنة في ص ٣٢٩) تكررت في ص ٣٤٠ و ٣٤١ والمقطعات (الثالثة والرابعة والسادسة ص ٣٣٠) تكررت في ص ٣٤٠ .

وكم كنت أتمنى أن لا يضم هذا الديوان كل ما نظمه الشاعر فقد نشر من المقطعات ما لا تساير شاعريته ولا تصل اليها .

هذه اضمامة زهر من رياض المثاني أقدمها لأرباب الذوق السليم من الأدباء ليدرسوا ما بين دفتيها من عطر فواح ورأي سديد ، وأسلوب رائق رائع وكنت أتمنى أن الوقت يتسع لي لأوفي شاعراً من الشعراء الكبار حقه من الدراسة والنقد وعسى أن يكون هذا العرض حافزاً لغيري .

3041

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com
lisanearb.com رابط بديل